والحكم

اشرفهم لانه من بني هاشم وبنوا هاشم افضل من قريش وقريش افضل العرب والعرب
افضل من غيرهم ثم قيل لفظ المومنين عام ومعناه خاص في العرب لانه ليس حي من
احيا العرب الا وقد ولده وخص المومنين بالذكر لانهم المنتفعون به اكثر فالمنة
عليهم اغلظ **فان قلت** هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط
في صحة الايمان او من فروض الكفاية **اجاب** الشيخ ولي الدين ابن العراقي بانه شرط
في صحة الايمان فلو قال شخص او من برسالة محمد الى جميع الخلق لا ادري لكن هل هو
من البشر او من الملايكة او الجن او لا ادري هل هو من العرب او العجم فلا شك في كفره لتكذيبه
للقران وجحده ما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند
الخاص والعام ولا اعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا لا يعرف ذلك وجب تعليمه اياه فان جحده
بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى **فان قلت** هل هو عليه السلام باق على رسالته الى الان
اجاب المعين النسفي بان الاشعري قال انه عليه السلام الان في حكم الرسالة وحكم
الشي يقوم مقام اصل الشي الا ترى ان العدة تدل على ما كان من احكام النكاح انتهى
وقال غيره ان النبوة والرسالة باقية بعد موته عليه الصلاة والسلام حقيقة
كما يبقى وصف الايمان للمومنين بعد موتهم لان المتصف بالنبوة والرسالة والايمان
هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن انتهى **وتعقب** بان الانبيا احيا في
قبورهم فوصفهم بالنبوة باق للجسد والروح معا وقال القشيري كلام الله تعالى
لمن اصطفاه ارسلتك تبلغ عني وكلامه تعالى قديم فهو عليه السلام قبل ان
يوجد كان رسولا وفي حالة بوجوده والى الابد رسولا لبقا الكلام وقدمه واستحالة
البطلان على الارسال الذي هو كلام الله تعالى ونقل السبكي في طبقاته عن ابن فورك انه
قال عليه الصلاة والسلام حي في قبره رسول الله ابد الابد على الحقيقة لا المجاز انتهى
وقال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين والمراد بالاميين العرب
تنبيها لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا اميين لا كتاب لهم وليس عندهم
شي من اثار النبوة كما عند اهل الكتاب فمن الله تعالى عليهم بهذا الرسول وبهذا
الكتاب حتى صاروا افضل الامم واعلمهم وعرفوا ضلالة من ضل قبلهم من الامم وفي
كونه عليه السلام منهم **فايدتان** احدهما ان هذا الرسول كان ايضا اميا كالامة
المبعوث اليهم لم يقرا كتابا قط ولم يخطه بيمينه كما قال تعالى ولا خرج عن ديار قومه
فاقام عند غيرهم حتى تعلم منهم بل لم يزل اميا بين امة امية لا يكتب ولا يقرا حتى
بلغ الاربعين من عمره ثم جا بعد ذلك بهذا الكتاب المبين وهذه الشريعة
الباهرة وهذا الدين القيم الذي اعترف حذاق اهل الارض ونظارها انه لم
يقرع العالم بناموس اعظم منه وفي هذا برهان عظيم على صدقه عليه السلام

وما كنت تدري من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك

لة

الفايدة

٢٨٤

الفايدة الثانية التنبيه على ان المبعوث منهم وهم الاميون خصوصا اهل
مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وامانته وعفته وانه نشا بينهم معروفا
بذلك وانه لم يكذب قط فكيف كان يدع الكذب على الناس ثم يفتري الكذب على الله
عز وجل هذا هو الباطل وكذا سال هرقل عن هذه الاوصاف واستدل بها على
صدقه فيما ادعاه من النبوة والرسالة وقد قال الله تعالى خطابا له فانهم
لا يكذبونك **ويروى** ان رجلا قال والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم
ولكنا ان نتبعك نتخطف من ارضنا فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن
عباس وعن مقاتل كان الحرث بن عامر يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في
العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب **ويروى** ان المشركين
كانوا اذا راوه عليه السلام قالوا انه لنبي وعن علي قال قال ابو جهل للنبي صلى
الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جيت به فانزل الله الاية والمعنى
انهم يرونه مع العلم بصحته اذ الجحد لغة هو الانكار مع العلم فان قلت فالجمع بين
هذا وبين قوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك **اجيب** بانه على طريق الجحد
وهو يختلف باختلاف احوالهم في الجهل فمنهم من وقع منه ذلك لجهله بحيث علم
امن ومنهم من علم وانكر كفرا وعنادا كابي جهل فيكون المراد بقوله فانهم لا يكذبونك
قوما مخصوصين منهم لا كلهم وحينيذ لا تعارض **وروي** ان ابا جهل لقيه صلى
الله عليه وسلم فصافحه فقيل له انصافحه فقال والله اني لا اعلم انه نبي ولكن
متى كنا تبعا لبني عبد مناف فانزل الله الاية رواه ابن ابي حاتم والقران كله مملو
بالايات الدالة على صدق هذا الرسول الكريم وتحقيق رسالته وكيف يليق
بكمال الله ان يقر من يكذب عليه اعظم الكذب ويخبر بخلاف ما الامر عليه ثم
ينصره ذلك ويويده ويعلي كلمته ويرفع شانه ويجيب دعوته ويهلك عدوه
ويظهر على يديه من الايات والبراهين والادلة ما يضعف عن مثله قوى البشر
وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر ساع في الارض بالفساد ومعلوم ان شهادته
سبحانه على كل شي وقدرته على كل شي وحكمته وعزته وكماله المقدس يابى ذلك
كل الابا ومن ظن ذلك به وجوزه عليه فهو من ابعد الخلق عن معرفته ان عرف
منه بعض صفاته لصفة القدرة وصفة المشية والقران كله مملو من هذه
الطريق الخاصة بل خاصة الخاصة الذين يستدلون بالله على افعاله وما
يليق به ان يفعله وما لا يفعله واذا تدبرت القران رايته ينادي على ذلك
ويبديه ويعيده لمن له فهم وقلب واع عن الله تعالى قال الله تعالى
ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
فما منكم من احد عنه حاجزين افتراه سبحانه وتعالى يخبر ان كماله وحكمته

Copyright King Saud University